تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 11- سورة التوبة | الأية 82

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان مجموعة يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم. قاتلوا الذين لا - 00:00:00

يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله. ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب لا يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. سم بالله. يقول جل وعلا يا ايها - 00:00:30

ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم يا ايها الذين امنوا خطاب - 00:00:50

للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يخبر جل وعلا ان المشركين نجس. والنجس القذر وهذه النجاسة هل هي حسية او معنوية وهل هي ظاهرة؟ او باطنة؟ هذه النجاسة على قول جمهور العلماء هي نجاسة باطنة. نجاسة معنوية نجاسة في القلب - 00:01:14

نجاسة في الاعتقاد اعتقادهم نجس. اعتقادهم قذر جعلوا مع الله شريكا. جعلوا مع الله الها اخر فقلوبهم واعتقادهم قذر بالشرك واما ابدانهم فليست بنجسة. على قول الجمهور. البدن ليس بنجس - 00:01:57

والدليل على ذلك ان ان الله جل وعلا اباح نكاح الكتابيات ولم يأمر الله جل وعلا ولا ولم يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم من تزوج كتابية بانه اذا مسها ان يغسل - 00:02:28

يديه وما مس جسمه من نجاستها من اجل نجاستها. وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم توظأ من مزادة امرأة واكل عليه الصلاة والسلام من طعام اليهود اذا فهذه الادلة تدل - 00:02:56

على ان المراد بالنجاسة هنا نجاسة الباطن والاعتقاد لا نجاسة الظاهر يرى بعض الظاهرية والزيدية والشيعة على ان المشرك نجس البدن كنجاسة الكلب والخنزير وهذا قول مرجوح لما عرفنا من الادلة - 00:03:26

على طهارة ابدانهم وحلي ذبائحهم وحل نسائهم للمسلمين وكلمة نجس من المصادر مصدر تطلق على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد. يقول الله جل وعلا انما المشركون نجس. وتقول هذا - 00:04:17

رجل نجس وهذه امرأة نجس ورجلان نجس. وامرأتان نجس ورجال نجس ونساء نجس فكلمة نجس مصدر تطلق على المفرد والمثنى والجمع مثل كلمة عدل يقول الله جل وعلا اشهد ذوي عدل منكم. فالمصدر - 00:05:04

يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث بلفظ واحد ما يتغير ويقال فيها نجس ونجس اذا الجيم تضم وتفتح وتكسر ويجوز فيها كسر نون مع تسكين الجيم نجس وقال بعضهم ان كلمة نجس - 00:05:49

تتأتى مع اذا قرنت بلفظ الرجس كما ورد في الحديث اعوذ بك من الخبث والخبائث الرجس النجس الشيطان الرجيم الرجس النجس بكسر النون وتسكير الجيم. انما المشركون فلا يقرب المسجد الحرام - 00:06:39

ما المراد بالمسجد الحرام؟ اهوى هذا المسجد مع ما زيد فيه ام المراد الحرم كله الظاهر والله اعلم ان المراد الحرم كله وهذا مما يستدل به على ان الصلاة في مكة - 00:07:15

كلها مضاعفة لانه يطلق على مكة كلها المسجد الحرام ومن الادلة قوله جل وعلا سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام - 00:07:41

ولم يكن عليه الصلاة والسلام راقدا في المسجد الحرام وانما كان ليلة اسري به كان في بيت امي هانئ فلا يقربوا المسجد الحرام يعني لا يدخل مكة كلها بعد عامهم هذا المراد بالعام السنة - 00:08:09

واي عام هذا هو السنة التاسعة من الهجرة فقد حج ابو بكر رضي الله عنه الناس في سنة اسأل كما تقدم لنا واتبع النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر بعلي - 00:08:37

وامره ان يقرأ على الناس ايات من سورة براءة وان ينذر الناس بما تضمنته هذه الاية الكريمة الا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف وبالبيت عريان بعد عامهم هذا فمنع - 00:09:07

كل مشرك من الدخول الى مكة ودخول المشركين الكفار عموما الى بلاد المسلمين يقسم على ثلاثة اقسام قسم لا يدخله المشرك اطلاقا وقسم يدخله المشرك لكن لا يقيم فيه اقامة مستمرة - 00:09:32

وقسم يدخله المشرك ويقيم فيه لكن لا يدخل المسجد الا باذن من مسلم ثلاثة اقسام القسم الاول لا يدخله المشرك اطلاقا. اي كافر وهو مكة حرم مكة كلها. فلا يدخلها مشرك - 00:10:23

حتى وان كان رسولا مرسل للامام والامام في مكة فيخرج اليه الامام او يرسل له من يسمع قوله ولا يدخل من اجل تبليغ الرسالة. القسم والثاني جزيرة العرب ويعبر عنها بعض العلماء بالحجاز - 00:11:00

هذه لا يدخلها لا يستقر بها المشركون استقرارا. وانما لهم ان يدخلوا في تجارة او في غرض ولا يستقر فليخرجوا منها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة - 00:11:35

العرب ثم اوصى بذلك عند موته فقال عليه الصلاة والسلام اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب وقال لا يجتمع في جزيرة العرب دينان وقد اجلى عمر رضي الله عنه اليهود والنصارى من جزيرة العرب - 00:12:05

واخرجهم منها ابو بكر رضي الله عنه اشتغل بحروب الردة ولم تطل مدة خلافته رضي الله عنه ثم نفذ هذه الوصية امير المؤمنين عمر رضي الله عنه وارضاه القسم الثالث سائر بلاد المسلمين - 00:12:32

لهم ان يستقروا بها لكن لا يدخلون مساجد المسلمين الا باذن من مسلم هل يجوز لهم الدخول باذن من مسلم؟ نعم. والدليل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم - 00:13:02

ربط ثمامة ابن عثال في سارية من سواري المسجد وهو شيخ اهل اليمامة جاء من بلاده يريد عمرة فالقت القبض عليه سرية من سرايا المسلمين واتوا به النبي صلى الله عليه وسلم - 00:13:27

وقال لهم اتدرون من اتيتم به انه شيخ اليمامة لانه عظيم في بلاده ومعظم وله كلمته. وفي قصة اسلامه عجب وقد اسره النبي صلى الله عليه ربطه النبي صلى الله عليه وسلم في سارية من سواري المسجد - 00:14:01

وامر ان يطعم امر عليه الصلاة والسلام بان يطعم. وكان في كل في يوم يدعوه عليه الصلاة والسلام الى الاسلام فيابى ويقول ان من انت فانت اهل لذلك وان طلبت المال فاطلب ما تشاء - 00:14:37

لانه غني في قومه وان قتلت فمن حقك ذلك لانه اسير كافر محارب وما يتغير جوابه هذا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ان المصلحة الاسلامية باطلاقه فلم يقتله ولم يطلب منه الفداء - 00:15:10

وفقه الله جل وعلا لذلك فاطلقه عليه الصلاة والسلام وقال اذهب فذهب ولم يذهب بعيدا فاغتسل وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وتشهد شهادة الحق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يمنعك ان تفعل منذ ثلاث - 00:15:44

فقال يا رسول الله خشيت ان يقال اسلم خوفا او كما قال فلما مننت علي وصرت طليقا اسلمت وامنت بالله ورسوله. الشاهد عندنا ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر ربطه في المسجد - 00:16:10

فيجوز دخول الكافر يهودي او نصراني او مشرك او بوذي او من اي ديانة يدخل المسجد باذن من المسلم لغرض لغرض صحيح كأن

يدخل لاصلاح شيء في المسجد لا حرج في ذلك. الا المسجد الحرام فلا - 00:16:37
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا آآ جاء بعض المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اذا منع المشركون والكفار من دخول مكة اصابنا الجوع - 00:17:03
والجهد لانهم يأتون بالاموال والتجارة يبيعون ويشترون ونستفيد من تجارتهم فانزل الله جل وعلا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وان خفتم عيلة المراد بالعيلة الفقر - 00:17:34
والفرقة وتطلق العيلة ويراد بها المشقة. وان خفتم عيلة اي مشقة فسوف يغنيكم الله من فضله. فيه ان الرزق ان الرزق من الله جل وعلا فالله جل وعلا ما يقطع الرزق من باب الا - 00:18:03
ويرسله من باب اخر فالرزق بيد الله والمقدر للعبد اتيه من هذا الباب او من باب اخر وكما ورد في الحديث من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وهذه الكلمة التي نقولها لكثير من الاخوة الذين يسألون - 00:18:37
عن عملهم في البنوك الربوية. وانهم مضطرون للعمل بها لانها وسيلة رزقهم وكسبهم ونفقتهم على من يأولونه والجواب ان الله جل وعلا هو الرازق واذا تركت هذا الكسب لما فيه - 00:19:13
ساق الله اليك رزقا حلالا اطيب منه. ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها واجلها فالشيطان يأتي للمرء ويقول له هذا رزق ميسور ومال كثير وراتب الكاف وعمل مريح لا تتركه - 00:19:41
وهو بيدك فلعلك تبحث عن مصدر غيره فلا تجد. هذا من تخويف الشيطان للعبد فالعبد اذا ترك شيئا لله وطلبا لمرضاته وخوفا من عقابه فهو جل وعلا يبدله خيرا منه. ويرزقه اطيب منه - 00:20:20
فسوف يغنيكم الله من فضله هذا وعد لا تخافوا العيلة والفقر بمنع الكفار من دخول المسجد الحرام لا تخافوا فسوف يغنيكم الله من فضله. ان شاء وفضل الله واسع يأتي من طريق - 00:20:51
البيع والشراء مع الكفار فاذا قطعه اتى من طريق البيع والشراء من المسلمين اتى من طريق الامطار الغزيرة التي تكثر بسببها الخيرات اتى من طريق اخذ الجزية من اليهود والنصارى - 00:21:24
فطريق الرزق الله جل وعلا والذي يجعل هذا الطريق نافعا او غير نافع فاذا سد طريقا فتح بدله طرقا كثيرة من طرق الكسب منع المشركين من دخول مكة فاسلم الكثير من اهل البلاد - 00:21:55
فصاروا يأتون بالارزاق الكثيرة اسلموا ودخلوا مكة وغيرها فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء تعليق بالمشيئة لان الاغناء من فضل الله ليس دليلا على محبة الله جل وعلا للعبد - 00:22:30
الاغنى من فضل الله ليس مستلزما للايمان فهو يعطي انشاء ويمنع انشاء وهذا العطاء لا يدل على المحبة والمنع لا يدل على البغض والكراهية بخلاف الايمان فالله جل وعلا لا يعطيه الا - 00:23:09
من احبه هذه ناحية ذكرها بعض المفسرين بان العطاء من الدنيا ليس دليلا على الايمان كما ان منعه جل وعلا من العطاء لا يدل على خلاف ذلك بل العطاء والمنع متعلق بمشيئة الله جل وعلا وحكمته. فيعطي الدنيا المؤمن والكافر - 00:23:39
ويمنع المال والدنيا من المؤمن ويمنعها من الكافر اذا شاء جل وعلا الناحية الاخرى من التعليق بالمشيئة تعليم العبد بان كل شيء بمشيئة الله اذا اراد الله له الرزق جاءه من حيث احتسب او من حيث لا يحتسب - 00:24:12
وليس الرزق يأتي بحنكة العبد ونشاطه وقوة ادراكه وفهمه لطرق الكسب والتصرف كثير من الاذكياء ما حصل على شيء الا نزر يسير وكثير من ضعيف الادراك الارزاق متوافرة عندهم. اذا - 00:24:45
على العبد ان يتعلق بالله ويسأله ذلك ولا يعتمد على حوله وقوته ونشاطه وحسن تصرفه وتعليم للعباد ان كل شيء اذا شاءه الله كان واذا لم يشأه فلا يكن. فلا يوجد في الكون شيء الا بمشيئة الله - 00:25:22
وكما علم الله جل وعلا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم. وامته من بعده بان يعلقوا كل افعالهم المستقبلية بمشيئة الله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله - 00:25:52

فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان بعد ذلك وشاء ان الله عليم حكيم. احاط علما بكل فعطائه مبني على العلم على علمه جل وعلا حكيم يضع الاشياء مواضعها - 00:26:18

وهاتان صفتان كريمتان لله جل وعلا صفة العلم والحكمة فعلم الله جل وعلا احاط بكل شيء والمخلوق وان الا انها حكمة على قدره وعلى مستواه والله جل وعلا عليم بكل شيء - 00:26:53

له الحكمة العظيمة حيث انه يعطي من يستحق العطاء ويمنع من يستحق المنع. يعطي وهو محب للمعطى ويمنع وهو محب للممنوع منه لكن اقتضت حكمته الا يعطيه مع محبته له - 00:27:30

ويعطي وهو غير محب للمعطى جل وعلا لانه يعطي الكافر ويمنع وهو غير محب للممنوع فهو يعطي ويمنع لحكمة جل وعلا ولا يدل العطاء ولا المنع على الحب ولا على الكراهية - 00:27:59

فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم. موصوف بهاتين الصفتين العظيمتين مع جميع صفات الكمال لربنا جل وعلا على حسب ما ثبت في الكتاب والسنة فالاثبات في صفات الله واسمائه - 00:28:32

توقيفي والنفي اجمالا. ما معنى هذه العبارة توقيفي الاثبات توقيفي هل يجوز ان نقول هذه الصفة صفة كمال نثبتها لله في عقولنا لا ننفي عن ربنا جل وعلا كل صفة نقص وعيب - 00:29:01

لكن لا نثبت لربنا كل صفة كمال بعقولنا لان عقولنا قاصرة عن ادراك صفات الكمال في حق الله جل وعلا ومثال على ذلك عندنا مثلا الذي يولد له المرء الذي يولد له - 00:29:35

كل واحد منا يحب ان يكون ذا ولد فهو اذا كان عقيم لا يولد له يتمنى ان يولد له. لانها في المخلوقين صفة محببة الى النفس لكن اثبات الولد لله جل وعلا اهو اثبات كمال - 00:30:07

فيه صفة كمال في حق الله؟ لا في حق المخلوق حسن ومرغوب فيه لكن في حق الله لا لان الله جل وعلا له الغنى المطلق والمخلوق يحتاج الى الولد لفقره - 00:30:32

وحاجته يساعده والله جل وعلا له الغنى المطلق فليس بحاجة الى ولد والولد لابد ان يكون شبه ومثل وقرين ابيه والله جل وعلا منزه عن ذلك فلا شبه له ولا مثل له ولا ند له - 00:30:50

جل وعلا اذا وصفات الكمال لله جل وعلا اثباتها عن طريق التوقيف يعني حسب ما ورد في الكتاب والسنة واما النفي فهو اجمالا ننفي عن ربنا جل وعلا كل صفة نقص وعيب - 00:31:18

على حد قوله جل وعلا ليس كمثله شيء. هذا في نفي الشبه والمثيل والند. وآآ نفي في جميع صفات النقص والعيب ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اثبات صفتي الكمال لله جل وعلا السمع - 00:31:47

والبصر والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين. اقرأ يعني يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا ايها - 00:32:11

الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا. فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عام هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم. نعم. امر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتا بنفي المشركين - 00:32:32

من الذين هم نجس دينا عن المسجد نجس نجس دينا. يقول الامام ابن كثير رحمه الله نجس دينا. يعني دينهم نجس. حيث انهم جعلوا لله ندا تعالى الله. فهم يعتقدون الشيء القذر - 00:33:02

النجس وهو مساواة المخلوق الخالق تعالى الله. نعم. وان لا يقربوه بعد نزول هذه الاية. وكان نزولها في سنة تسع ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا صحبة ابي بكر رضي الله عنهما عامئذ وامره ان ينادي في - 00:33:19

الا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. فاتم الله ذلك وحكم به شرعا وقدرا وقال عبد الرزاق اخبرنا ابن جريج اخبر قال اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر ابن عبد الله يقول في قوله - 00:33:43

تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا. الا ان يكون عبدا او احدا من او احدا من اهل الذمة وقد روي

مرفوعا من وجه اخر فقال الامام احمد حدثنا حسن قال حدثنا شريك عن الاشعث يعني ابن سوار عن الحسن - 00:34:03
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل مسجدنا بعد عامنا هذا مشرك الا اهل العهد وخدموه الا اهل العهد وخدمهم تفرد به الامام احمد مرفوعا والموقوف اصح اسنادا. اي انه موقوف على جابر رضي الله عنه - 00:34:25
وقال الامام ابو عمرو الاوزاعي كتب كتب عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ان امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى انما المشركون نجس. وقال عطاء الحرم كله مسجد لقوله - 00:34:45
تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الحرم كله مسجد. اقوله عطاء رضي الله رحمه الله من كبار التابعين. خطأ ابن ابي رباح نعم. ودلت هذه الاية الكريمة على نجاسة المشرك كما كما ورد في الصحيح المؤمن لا ينجس. واما النجاسة للمشرك والمؤمن - 00:35:05
لا ينجس يعني لا ينجس النجاسة المعنوية. واما النجاسة الحسية فقد تصيبه النجاسة. تتنجس يده ويتنجس ثوبه فتزال هذه النجاسة بالغسل واما نجاسة بدنه فالجمهور نجاسة بدنه يعني بدن المشرك - 00:35:30
واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس بنجس البدن والذات لان الله تعالى احل طعام اهل الكتاب ذهب وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم. مع الظاهرية الزيدية والشيعة. قالوا ان - 00:35:56
المشرك نجس البدن وروي عن الحسن البصري انه قال من مست يده يد مشرك فعليه ان يتوضأ وقال اشعث عن الحسن من صافحهم فليتوضأ. رواه ابن جرير. وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله - 00:36:16
قال محمد بن اسحاق وذلك ان الناس قالوا لتقطع لتقطعن عن الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فانزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه - 00:36:46
غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون. اي هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الاسواق. فعوضهم الله مما قطع امر الشرك فعوضهم الله مما قطع امر الشرك ما اعطاهم من اعناق اهل الكتاب من الجزية وهكذا - 00:37:06
روى ابن روي عن ابن عباس ومجاهد واكرمة وسعيد ابن جبير وقتادة والضحاك وغيرهم ان الله ان الله اي بما يصلحكم حكيم اي فيما يأمر به وينهى عنه لانه الكامل في افعاله واقواله العادل في خلقه وامره تبارك وتعالى ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب - 00:37:26
الجزية التي يأخذونه التي يأخذونها من اهل الذمة - 00:37:52